دور ابن عبَّاس في نظريَّة الاحتجاج العربيَّة

(الاستدلال بالشعر)

أ.د. عبد الكريم مجاهد مرداوي

أستاذ اللغويّات العربية – الجامعة الهاشميَّة

ABSTRACT

This research examines Ibn Abbas's approach to using poetry as evidence and the impact of this linguistic approach on Qur'anic exegesis, and on the argumentation in Arabic linguistic theory as discernible in phonetic, morphological, and syntactic analysis, as well as in semantic and lexical research, both ancient and modern, where poetic citation represents the core axis in the argumentation process. The problem of the study is to unveil Ibn Abbas' pioneering approach in utilizing poetry for evidence in all facets of linguistic inference, as well as to trace the impact of this approach on linguistic studies and exegesis of the Holy Qur'an. The significance of the study lies in demonstrating the role of poetic citation in the process of linguistic inference in accordance with the approach delineated by Ibn Abbas, which relates to the basic principles of the Arabic argumentation theory on one hand, and to the vitality of the realistic usage of language as evinced by its early users. Hence, the study adopts a descriptive analytical methodology. It relies only on Ibn Abbas's approach to poetry as evidence in the interpretation of the Qur'an, as shown in his answers to what is known as "Nafi' Ibn al-Azraq's questions." Also, it examines the impact of this approach upon the interpreters of the Qur'an, lexicon and morpho-syntax scholars, as well as upon linguistic analysis in general from its beginnings to the present day; along with appropriate examples for each. The study draws several conclusions, most important of which is Ibn Abbas's foundational role in utilizing poetic inference; now an established approach in lexicography; in addition to his precedence in eliciting and codifying Arabic grammar.

ملخَّص بحث

درس هذا البحث منهج ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر وأثره في تفسير القرآن، وفي الاحتجاج في النظرية اللغويَّة العربيَّة وتجليَّاتها في الدرس الصوتي والصرفي والنحوي، وكذلك في البحث الدلالي والمعجمي قديما وحديثاً؛ حيث مثَّل الشاهد الشعري المحور الأساس في عمليَّة الاحتجاج.

وتتمثَّل مشكلة الدراسة في الكشف عن منهج ابن عبَّاس وريادته في الاستدلال بالشعر في جوانب الاستدلال اللغوي جميعها (الأصوات والصرف والنحو والمعجم)، ورصد أثر هذا المنهج في الدرس اللغوي وعند المفسِّرين. وتكمن أهميَّتها في تجلية دور الشاهد الشعري في عملية الاستدلال اللغوي وفقا للمنهج الذي خطه ابن عبَّاس، وهو أمر يتصل بأصول نظريَّة الاحتجاج في العربيَّة من جهة، وبحيويَّة الاستعمال الواقعي للغة كما تظهر عند مستعمليها الأوائل.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ وقفت عند منهج ابن عبَّاس في الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن كما ظهر في إجاباته عمَّا عرف بـ "سؤالات نافع بن الأزرق"، واسْتَقْرَتْ أثرَ هذا المنهج لدى المفسِّرين وعلماء النحو والصرف وفي الدرس المعجمي منذ بواكيره وحتى العصر الحاضر، وأبانت عن تجلِّيات هذا المنهج في الدرس اللغوي عموماً، مع استحضار الأمثلة المناسبة على كلِّ تجلٍّ منها.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج، من أبرزها ريادة ابن عباس في الاستشهاد بالشعر في مسائل اللغة وفي تفسير القرآن الكريم، حتى غدا هذا الاستشهاد منهجا متَّبعا لدى المعجميين قديماً وحديثاً، وكانت له الأولويَّة في استنباط قواعد اللغة وتقنين نظمها، وهو منهج علمي يقوم على استحضار الواقع اللغوي لاستعمال المفردة والتركيب كما تجلَّى في البيئة اللغويَّة للعربيَّة التي مثَّلتْ لغتها مادَّة الاحتجاج اللغوي.

الكلمات المفتاحية: ابن عباس – نظرية الاحتجاج – الاستدلال اللغوي – الشاهد الشعري – التفسير

مقدمة:

يعدُّ الاستدلال بالشعر من أهم أبواب الاستشهاد في نظريَّة الاحتجاج العربيَّة في تجلِّياتها المختلفة، ولعلَّ صنيع ابن عبَّاس (رضي الله عنه) المتوفَّى سنة ثمان وستين للهجرة في جواباته عن سؤالات نافع بن الأزرق التي احتفظت بها المصادر العربية القديمة يمثِّل بواكير هذا الاستدلال، وتَرَكَ بصمةً واضحةً في درسيّ اللغةِ والتفسيرِ في جوانب متعددة.

وتتمثَّل مشكلة الدراسة في الوقوف على ريادة ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر في نظريَّة الاحتجاج العربيَّة، وأثرها في مجمل عملية الاستدلال بالشعر في تفسير القرآن الكريم لدى المفسِّرين القدامى، وفي درس اللغة في حقوله المختلفة؛ في الأصوات والصرف والنحو وفي الدرس الدلالي والمسيرة المعجميَّة العربيَّة قديما وحديثا، وفي رصد تجلِّيات منهجه في عمليَّة الاستدلال الشعري، وأهميَّته في استحضار الواقع اللغوي في بيئته العربيَّة الأولى التي بُنِيَ على استعمالها اللغوي قواعد العربيَّة جميعها.

وتكمن أهمية الدراسة في تجلية دور الشاهد الشعري في عملية الاستدلال اللغوي وفقا للمنهج الذي خطَّه ابنُ عبَّاس، وهو أمر يتَّصل بأصول نظريَّة الاحتجاج في العربيَّة من جهة، وبحيويَّة الاستعمال الواقعي للغة كما تظهر عند مستعمليها الأوائل. كما أنَّها تسلِّط الضوء على أصالة المسلك المنهجي الذي اختطَّه ابن

عباس ووجد صداه بقوَّة في مؤلفات تفسير القرآن الكريم منذ بواكيرها، وهو يعكس حيويَّة العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربيَّة التي تُظْهِرُ معنى نزول القرآن الكريم على سنن العربيَّة.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، أمَّا في الإجراءات المنهجيَّة فقد وقفت عند منهج ابن عبَّاس في الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن كما ظهر في إجاباته عما عرف بـ "سؤالات نافع بن الأزرق"، واسْتَقْرَتْ أثر هذا المنهج لدى المفسِّرين وعلماء النحو والصرف وفي الدرس المعجمي منذ بواكيره وحتى العصر الحاضر، وأبانت عن تجلِّيات هذا المنهج في الدرس اللغوي عموماً، مع استحضار الأمثلة المناسبة على كلِّ تجلٍّ منها.

ومن الدراسات السابقة لهذه الدراسة دراسة حمدي الشيخ الصادرة عام (2007)، وجاءت بعنوان: "التفسير اللغوي لغريب القرآن بالشعر العربي عند ابن عبَّاس"، وهو كتاب منشور صادر عن مكتبة وهبة للطباعة والنشر، وتناول فيه مؤلِّفه طريقة ابن عبَّاس في تأويل غريب القرآن بالشعر العربي ولغات العرب، مع تركيزه على فكرة الغريب باعتبارها موضوعا رئيسا من موضوعات علم التفسير وعلوم القرآن.

وتفترق الدراسة الحالية عن هذه الدراسة بأنها ركَّزت على الجوانب اللغويَّة في منهج ابن عبَّاس، وأثر هذا المنهج في الدرس اللغوي قديما وحديثا.

وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما ملامح منهج ابن عباس في الاستدلال بالشعر؟
- ما أثر منهج ابن عبَّاس في الاستدلال المعجمي بالشعر عند المفسرين؟
- ما أثر منهج ابن عبَّاس في الاستدلال بالجوانب اللغويَّة الأخرى عند المفسِّرين؟
- ما أثر ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر في المعاجم قديما وحديثاً؟
- ما أثر ابن عبَّاس في الاحتجاج بالشعر في الدرس النحوي والصرفي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ائتلف هذا البحث من المفردات الآتية:

- مقدمة.

- منهج ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر.
- الاستدلال المعجمي بالشعر عند المفسِّرين.
- الاستدلال بالجوانب اللغويَّة الأخرى عند المفسِّرين.
- الاستدلال بالشعر في المعاجم اللغويَّة العربيَّة قديما وحديثاً.
- الاحتجاج بالشعر في الدرسين النحوي والصرفي.
- الخاتمة والنتائج.

منهج ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر:

لم يكن المنهج الذي سلكه ابن عبَّاس (ت 68هـ) دخيلاً ولا مستوردًا ولا مصطنعًا، بل كان إبداعًا أصيلاً بتعويله في تفسير اللفظ القرآني على دلالة هذا اللفظ في الاستعمال اللغوي الشعري العربي الفصيح، بما روي عنه في المصادر الموثوقة (كإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لابن الأنباري ت 328هـ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ت 911هـ) من أجوبته عن سؤالات نافع بن الأزرق وصاحبه عن ألفاظ قرآنية بيَّن معناها هذا الحَبْر؛ مستدلاً على هذه المعاني بما جاء في شعر العرب.

وتنبع أصالة هذا المسلك في التفسير بأنَّه ترجمة منهجيَّة حقيقيَّة وعلميَّة، لما ورد في عدَّة آيات من القرآن الكريم، بأنَّه قرآن عربي وبلسان عربي مبين؛ فهو عربي بألفاظه ومحتواه، والاستدلال بالشعر على ذلك مما يمكن عدُّه آليَّة من آليَّات تجديد العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربيَّة والثقافة العربيَّة الأدبيَّة.

وتثبت أصالة هذا المسلك المنهجي كذلك في أنَّه أصبح مدرسة في التفسير القرآني التزم بها مفسرو القرآن الكريم قديمًا وحديثًا؛ فلا تجد مفسِّرًا بالنقل أو العقل تخلى عن هذا المنهج في الاستدلال اللغوي بالشعر، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ) أنموذج متقدّم على ذلك؛ فقد استدلّ في جُزئيه بما ينوف على الألف من القوافي الشعرية.

وتكتمل الأصالة لهذا المنهج الاستدلالي بالاستعمال اللغوي، بجعل الشعر العمود الأساس في نظرية الاحتجاج اللغوي العربيَّة، بإجماع اللغويين العرب؛ بحيث يمكننا القول إن ابن عبَّاس هو المعجمي الأول باقتداء المعجميين له؛ باستقائهم معاني مداخلهم المعجمية من شعر العرب، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد في معجم العين.

وأما النحاة، متقدِّمين ومتأخِّرين، فقد كانوا أكثر وفاءً لابن عبَّاس بما جعلوا للشعر من صدارة في الاستشهاد على قواعد النحو والصرف، وقننوا للاستشهاد به، ورسموا للاحتجاج به حدودًا زمانيَّة ومكانيَّة، وبالغوا في الأمر حتى عِيبَ عليهم؛ بوصف القرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف ورواياته أولى بذلك، حتى وصلنا إلى المقولة التي توجز النحو في القاعدة والشاهد، وهو ما وصفه سعيد الأفغاني في كتابه "الموجز في النحو".

ولا أبالغ إنْ قلت إنَّ الشاهد الشعري الذي تقاس به معياريَّة فصاحة اللفظ الدلاليَّة قد أصبح له المقام الأول في التقعيد اللغوي نحوًا وصرفًا عند اللغويين، حتى لو كانت الشواهد مجهولة القائل أو موضوعة أو مهجورة أو مبتورة أو منحولة أو شاذة.

وهكذا يكون ابن عبَّاس – رضي الله عنه – قد أسند إلى الشعر وظيفة علميَّة منهجيَّة ومعياريَّة أقيمت عليها نظرية الاحتجاج العربيَّة في بحوث علوم اللغة الدلاليَّة والمعجميَّة والنحويَّة والصرفيَّة، إضافة إلى أغراضه التقليديَّة المعهودة عند العرب، بوصفه فنًا أدبيًا وجدانيًا.

إنَّ ما سأقوم ببيانه في هذه الورقة من دور ريادي لابن عبَّاس في الثقافة العربيَّة، في علم التفسير وعلم العربيَّة لم يأتِ من فراغ؛ فهو الذي دعا له رسولنا الكريم سيدنا محمد – صلى الله عليه

وسلم – بقوله: "اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل" (القرطبي، 1967، 50)؛ فكان من بركات هذه الدعوة أنَّه تتلمذ على يدي أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب، (رضي الله عنه) (القرطبي، 1967، 51، 52)؛ فهو صدر المفسِّرين والمُؤيَّد فيهم كما يقول مفسر القرآن الكريم ابن عطيَّة (ابن عطيَّة، المحرر الوجيز، 22) وهو أمر قرَّره ابن عبَّاس نفسه بقوله: "ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب" (القرطبي، 1967، 51، 52).

ومما يجدر ذكره أنّه قد عُني بالتفسير نفرٌ غير قليل في ذلك الوقت بعد وفاة الرسول (صلَّى الله عليه وسلم)، أحصى منهم السيوطي عشرة بقوله: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عبَّاس، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أمَّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليُّ بن أبي طالب..." (السيوطي، 1995، ج1، 412). لكنَّ أكثرهم اشتهارًا واشتغالاً بالتفسير هو ابن عبَّاس، وهو الذي أخذ على عاتقه تفسير ما يُشْكِل أو يُستَغْرَب من ألفاظ القرآن الكريم بقوله: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإنَّ الشعر ديوان العرب" (القرطبي، 1967، 42)، وبلفظ آخر نقله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء، "قال ابن عبَّاس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه" (ابن الأنباري، 2010، 65، 66). وفي صفحة تالية من الكتاب نفسه ينقل المعنى نفسه لابن عبَّاس بلفظ يتَّفق في معناه مع القول السابق: "إذا أعيتكم العربيَّة في القرآن فالتمسوها في الشعر؛ فإنَّه ديوان العرب" (ابن الأنباري، 2010، 65، 67). ويجمع ذلك كلّه السيوطي ويؤكده في الإتقان بقوله: "قال ابن عبَّاس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه... عن ابن عبَّاس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإنَّ الشعر ديوان العرب" (السيوطي، 1995، ج1، 255).

ويمكنني أنْ أخْلُصَ مما قاله ابنُ عبَّاس إلى أنَّ بدايات علم التفسير كان المقصود منها بيان معاني ما أطلق عليه غريب القرآن الكريم، الذي أَسَّسَ لحركة علميَّة معجميَّة ناشئة من القرآن الكريم

بوصفه نصًا عربيًا، موضوعها علم غريب القرآن، أضيفت فيه كتب غريب القرآن، التي كانت وما زالت في نظري معاجم، انصبَّ الاهتمام فيها على بيان معاني مفردات السور القرآنية، بوصفها وحدات معجميَّة قرآنيَّة، يقوم ترتيبها في نسق معجمي هجائي أو موضوعي، ويبدو أنَّ هذا الأمر قد حظي باهتمام حَبْر الأمَّة ابن عبَّاس (رضي الله عنه).

وانبثق عن الحقيقة العلميَّة التاريخيَّة السابقة، التي بيّنت موضوع علم غريب القرآن ونشأته، حركة علميَّة معجميَّة تقوم بخدمة المفردة القرآنية قوامها ثلاثة وخمسون كتابًا أو رسالة في تفسير غريب القرآن الكريم (إقبال، 1987، 5، 16)، أمَّا محقق غريب القرآن للسجستاني (السجستاني، 1993، 43–61) فقد ذكر أنَّها بلغت من الكتب (205)؛ ما بين مطبوعة ومخطوطة ومجهولة المؤلف، قديمًا وحديثًا، وأقدمها كتاب "غريب القرآن" لابن عبَّاس.

أمَّا الخلاصة الأخرى فهي ما يمكن أنْ أطلق عليه المنهجية العلميَّة في بيان معاني المفردات القرآنية؛ باعتماده على دلالات هذه المفردات في شعر العرب، وهو مسلك منهجي دقيق ربط فيه تفسير اللفظ القرآني بمفهومه في الاستعمال العربي الأدبي. وتتبع أصالة هذا المنهج من كونه ترجمة حقيقيَّة ودقيقة لقوله تعالى: "**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**" **(يوسف – 20)**، وقوله تعالى: "**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**" **(الشعراء – 195)**؛ فعربيَّة القرآن بلفظه ومدلوله، والشعر هو قَّمة الإبداع الأدبي عند العرب الذي يعبِّر عن حياتهم العقلية والوجدانيَّة وبيئتهم البدويَّة، ويصوِّر قيمهم الاجتماعيَّة بصدق وصراحة؛ وبذلك يكون ابن عباس قد وظَّف الشعر العربي وظيفة علميَّة إضافة إلى أغراضه التقليديَّة المعهودة، وهو ما جعل السيوطي يصف ما أخذه ابن عبَّاس بأنَّه "يستوعب تفسير القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة". (السيوطي، 1995، ج1، 245)

لم يكتفِ ابن عبَّاس بالإشارة والتنبيه والتنظير، بل قام بالتطبيق العملي في أجوبته عن أسئلة في ألفاظ غريب القرآن وجَّهها إليه نافع بن الأزرق، ورد ذكرٌ لبعضها في كتاب "الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" لابن الأنباري (ت 328هـ) (ابن الأنباري، 2010، 48–65)، بينما جمعها السيوطي

كلَّها في المجلَّد الأول من كتاب الإتقان (السيوطي، 1995، ج1، 255–282). وورد ذكرٌ لبعضها في مقدِّمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (القرطبي، 1967، 42–43). وقام بنشرها حديثًا الدكتور إبراهيم السامرائي في رسالة بعنوان: "سؤالات نافع بن الأزرق" في مجلة رسالة الإسلام (السامرائي، 1969). وطبعت أيضًا في رسالة بعنوان: "غريب القرآن في شعر العرب"، بتحقيق محمد عبد الرحيم وزميله (عبد الرحيم ونصر الله، د.ت)، وهو غير مرتب بحسب الحروف الهجائيَّة؛ أي يمكن أنْ يأتي لفظ (قَسْوَرة) قبل كلمة (رَيْب)، مع أنَّ الراء في الترتيب الألفبائي قبل القاف. ويحسن أن نقتطف بعضًا من هذه السؤالات وأجوبتها، مقتبسة من المصادر التي وردت فيها، وأبدأ بكتاب الوقف والابتداء وهو أقدمها، ويحسن أن أسرد الخبر الذي كان سببًا لإيراد السؤالات والأجوبة عنها، والحكاية كما أوردها ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء (ابن الأنباري، 2010، 48–49)، وهي الرواية نفسها التي أوردها السيوطي في الإتقان (السيوطي، 1995، ج1، 255–259): ((دخل نافع بن الأزرق إلى المسجد الحرام فإذا هو بابن عبَّاس جالسًا...، وإذا الناس قيام عليه يسألونه عن التفسير، فإذا هو لا يحبسهم بتفسيره، فقال نافع: تالله ما رأيت رجلاً أجرأ على ما تأتي به منك يا ابن عبَّاس... يا ابن عبَّاس أريد أن أسألك عن أشياء فأخبرني بها. قال: سل عمّا شئت... قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: **((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ)) (البقرة – 255)**، ما السِّنَة؟ قال: النعاس. قال زهير بن أبي سلمى في (القرطبي، 1967، 42–42):

لا سِـنةٌ فـي طَـوالِ الـدَّهرِ تأخـذُه ولا ينـــامُ ولا فـــي أمـــره فَنَـــدُ

ومما ورد في الإتقان (السيوطي، 1995، ج1، 255–259): قال (السائل): أخبرني عن قوله تعالى: **((وَأَنتُمْ سَامِدُونَ)) (سورة النجم – 61)**. قال السمود: اللهو والباطل. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول هذيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد:

ليـــــت عـــــادًا قبلـــــوا الـــــح ـــــقَّ ولـــم يُبْـــدوا جُحـــودا
قيـــــل قـــــم فـــــانظر إلـــــيهم ثـــــم دَعْ عنـــــك السُّـــــمودا

ومن يقرأ السؤالات وإجاباتها وشواهدها التي بلغت 195 كما جاءت في الإتقان، فلابدَّ أن تصيبه الدهشة والإعجاب بهذه الإجابات الحاضرة والذاكرة الحادة والبديهة المواتية.

الاستدلال المعجمي بالشعر عند المفسرين:

لا غرابة إذا لَقي منهج ابن عبَّاس، استجابة تلقائيَّة مبكرّة من مفسِّري القرآن الكريم خاصة اللغويين منهم؛ فلا نجد كتابًا في معاني القرآن وتفسيره تخلى عن الاستدلال بالشعر في بيان معاني المفردة القرآنية؛ فقد استشهد أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) بنحو ألف بيت من الشعر في كتابه "مجاز القرآن" (ابن المثنى، د.ت، ج1، 31)، وفيه "**وعلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**" **(سورة البقرة – 7)**؛ أي غطاء، قال الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة:

تَبِعْتُــك إذ عينـــي عليهـــا غِشـــاوة فلما انجلت قطّعتُ نفسـي ألومهـا

وفي الجزء الثاني (ابن المثنى، د.ت، ج2، 249) "**وَلَا يُنزِفُونَ**" **(الواقعة – 19)** لا يسكرون قال الأبيرد:

لعمـــري لـــئن أُنْـــزِفْتم أو صـــحوتمُ لبـــئس النـــدامى كنـــتُمُ آل أَبْجَـــرا

وفي جامع البيان للطبري ((وأما معنى الكفر في قوله: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**" **(البقرة – 6)** فإنه الجحود ... وأصل الكفر عند العرب تغطية الشيء....، قال لبيد بن ربيعة في (الطبري، 2005، ج1، 149):

في **ليلة كَفَرَ النجومَ غَمَامُها.** يعني غطَّاها.

وفي موطن آخر من تفسير الطبري في قوله تعالى: "**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**" **(البقرة – 67)** والهزؤ اللعب والسخرية كما قال الراجز:

قـــد هَزِئَـــتْ منـــي أُمُّ طِيْسَـــلَه قالـــتْ أَراه مُعْـــدِما لا شـــيءَ لـــه

يعني بقوله: قد هزئتْ: قد سَخِرَتْ ولَعِبَتْ (الطبري، 2005، ج1، 436).

وجاء في تفسير القرطبي قوله تعالى: "**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**" **(البقرة – 22)** أي أكفاء وأمثالاً ونظراء.. (القرطبي، 1967، 229–230) قال الشاعر:

نحمـــــدُ اللهَ ولا نِـــــدَّ لـــــه عنـــده الخيـــرُ ومـــا شـــاءَ فَعَـــلْ

وقال حسَّان:

أتهجـــوهُ ولَسْـــتَ لَـــه بنِـــدٍّ فشـــرُّكما لخيرِكمـــا الفِـــداء

وفي موطن آخر جاء في تفسير القرطبي (القرطبي، 1967، ج2، 21) [1]: قوله تعالى: "**تُفَادُوهُمْ**" **(البقرة – 85)** والفداء: طلب الفدية في الأسير الذي في أيديهم ... وأنشد الأصمعي للنابغة:

مهـــلاً فـــداءً لـــكَ الأقـــوامُ كلُّهـــم ومـــا أُثَمِّـــرُ مـــن مـــالٍ ومـــن وَلَـــدِ

ويفسِّر الزمخشري (الزمخشري، 1995، ج1، 365) وجه النهار بأوله، في قوله تعالى: "**آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ**" **(آل عمران – 72)**. وجه النهار في أوّله، قال الشاعر:

مـــن كـــان مســـرورًا بمقتـــلِ مالـــكٍ فليـــأتِ نِســـوتنا بوجـــه نَهـــارِ

وفيه أيضًا يفسِّر (الزمخشري، 1995، ج1، 522) قوله تعالى: "**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ**" **(النساء – 74)** يشرون بمعنى يشترون ويبيعون، قال ابن مفرِّغ:

وشَـــــرَيْتُ بُـــــردًا ليتنـــــي مـــن بَعْـــدِ بُـــرْدٍ كنـــتُ هامَـــه

وفي البحر المحيط (الأندلسي، د.ت، ج1، 83) في تفسير صيِّب في قوله تعالى: "**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**" **(البقرة – 19)**: الصيِّب المطر، يقال: صاب يصوب فهو صيِّب إذا نزل والسحاب أيضًا، قال الشاعر:

حتـــى عفاهـــا صـــيِّبٌ وَدْقُـــهُ دانـــي النـــواحي مُسْـــبلٌ هاطـــلُ

---

(1) وفي رواية ديوان النابغة: فِداءٌ. وقد ساق القرطبي البيت شاهدًا على جواز كسر فداءٍ بالتنوين بقوله: ((فداءٍ لك؛ لأنه نكرة يريدون به معنى الدعاء..)) وأنشد بيت النابغة برواية الأصمعي.

الاستدلال بالشعر على الجوانب اللغوية الأخرى عند المفسرين:

لم يكتفِ المفسِّرون عند حدِّ الاحتجاج بالشعر على دلالة المفردات القرآنية، وإنما انتقلوا إلى جوانب اللغة الأخرى الصوتية والنحوية والصرفية في المفردات القرآنية، ولدينا ثلاثة نماذج من التفسير عنيت بالشواهد الشعرية للاستدلال على القضايا اللغوية وهي: معاني القرآن للفراء (ت 207هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (ت 215ه)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 754ه).

وأبدأ بالآية الكريمة "**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ**" **(البقرة – 42)**، حيث قال الفراء (الفراء، د.ت، ج1، 33–34): "إنْ شئت جعلت (ولا تكتموا) في موضع جزم ... وإنْ شئت جعلت الأحرف المعطوفة بالواو نصبًا على ما يقول النحويون من الصرف..." كقول الشاعر:

لا تنهَ عن خُلق وتأتيَ مثلَه   عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) في (تأتي مثله)؛ "فلذلك سمي صرفًا إذ كان معطوفًا". وإذا غلب الاحتجاج بالشعر على الأحكام النحويَّة في معاني القرآن للفرَّاء، فإنَّ الأخفش الأوسط توزَّعت استشهاداته الشعرية على الجوانب اللغويَّة الصوتيَّة والصرفيَّة والنحويَّة، وندر استشهاده به على المعاني المعجميَّة. ومن أمثلة الاستشهاد بالشعر على الجانب الصوتي في قوله تعالى: "**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ**" **(البقرة – 20)** ... ومنهم من قال: "يخِطِّفُ"، كَسَر الخاء لاجتماع الساكنين ثم كسر الياء، أتبع الكسرة الكسرة وهي قبلها، كما أتبعها في كلام العرب، كثيرًا يُتْبِعون الكسرة في هذا الباب الكسرة، يقولون: قِتِّلوا وفِتِّحوا، قال أبو النجم (الأوسط، 1981، ج1، 51):

تَدافُعَ الشيبِ ولَمْ يَقِتِّلِ

وأورد الأخفش في الجانب الصرفي قوله تعالى: "**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ**" **(البقرة – 26)**، فيكون "ذا" بمنزلة "الذي"، ويكون "ماذا" اسمًا واحدًا إن شئت بمنزلة ما ... ويدلك على أنَّ "ماذا" اسم واحد، قال الشاعر (الأوسط، 1981، ج1، 53):

دَعي ماذا عَلِمَتْ سأَتَّقِيهِ   ولكن بالمُغَيَّب نبِّئِيني

وأمَّا في الجانب النحوي فيورد الأخفش: "وأما **"حَوْلَه" (من الآية 17 في سورة البقرة)** [1]، فانتصب على الظرف.. كما قال الشاعر:

هذا النهارَ بدا لها من همِّها ما بالُها بالليل زال زوالها

نصب النهار على الظرف... (الأوسط، 1981، ج1، 49).

ومن البحر المحيط وقد غلب عليه التفسير اللغوي الذي يهتم بالقراءات القرآنية وتعليلها ففي قوله تعالى: "**وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا" (البقرة – 102)** يقول أبو حيَّان (الأندلسي، د.ت، ج1، 327): "وقرئ ولكنَّ بالتشديد فيجب إعمالها ... قال الكسائي والفراء الاختيار التشديد إذا كان قبلها واو، والتخفيف إذا لم يكن معها واو..."، ثم يقول أبو حيان متابعًا: "وأمَّا إذا جاءت بعدها الجملة فتارة تكون بالواو وتارة لا يكون معها الواو، كما قال زهير في: (الأندلسي، د.ت، ج1، 327):

إنَّ ابنَ ورقاء لا تُخْشى بوادره لكنْ وقائعه في الحرب تنتظر"

وعُنِي أبو حيان بالتعليل الصوتي للهجات في القراءات، وساق الشواهد الشعريَّة، ومن ذلك ما جاء في قراءة "هُدَاي" في قوله تعالى: **"فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ" (البقرة – 38)**؛ حيث يقول أبو حيّان: "وقرأ عاصم الجحدري وعبد الله بن أبي اسحق وعيسى بن أبي عمر "هُدَيَّ" بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء المتكلم إذ لم يمكن كسر ما قبل الياء لأنه حرف لا يقبل الحركة، وهي لغة هذيل يقلبون ألف المقصور ياء ويدغمونها في ياء المتكلم، وقال شاعرهم: (الأندلسي، د.ت، ج1، 169):

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهم فتُخُرِّموا ولكلِّ قومٍ مصرع"

الاستدلال بالشعر في المعاجم، قديمًا وحديثًا:

لا أفارق الحقيقة إذا قلت إنَّ ما فعله ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر على معاني المفردات القرآنية، هو عمل معجمي في شكله ومضمونه، فكُتُب غريب القرآن الكريم والحديث الشريف ما هي

(1) من قوله تعالى: **((مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم)) (البقرة – 17).**

إلا معاجم خاصة بمفردات القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذه المفردات لا تعدو أن تكون وحدات معجميَّة دالَّة ذاتيًا ووظيفيًا يقوم المؤلف بترتيبها في نسق معجمي هجائي ألفبائي أو معجمي موضوعي، حسب ترتيب السُّور في القرآن الكريم. وقد مارس مؤلفو معاجم الغريب هذين الترتيبين، وسلكوا مسلك ابن عبَّاس في الاستدلال بالشعر عند حاجتهم لذلك. وقد أحصى صاحب معجم المعاجم أحمد الشرقاوي إقبال (إقبال، 1987، 5–16) ثلاثًا وخمسين رسالة أو معجمًا في غريب القرآن الكريم، وأوَّلها غريب القرآن لابن عبَّاس؛ وبناء عليه يرى الشرقاوي (إقبال، 1987، 5) أنَّ "المعجميَّة العربيَّة بدأت انطلاقًا من غريب القرآن". وقد أصبح هذا النهج معهودًا ومشهورًا شهرة ابن عبَّاس لدى العلماء مفسِّرين ولغويين؛ وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد، الذي يبدو أنَّه قد أدرك بعبقريَّته أنَّ معاجم الغريب القرآني والحديثي والرسائل اللغوية تقتصر على غريب اللغة، وأنَّها لم تتسع حتى تحيط بكلام العرب؛ وأخذ على عاتقه أن يجمع شتات اللغة المدوَّن وغير المدوَّن في أوَّل معجم عربي شامل يستوعب مفردات العربيَّة استيعابًا منظَّمًا يُؤْمَن فيه الإهمال والتكرار، تعتمد فيه المفردة أو الوحدة المعجمية على ثلاثة أبعاد: صوتيَّة وصرفيَّة وآليَّة تقليبيَّة توليديَّة رياضيَّة "تستوعب كلام العرب الواضح والغريب، ويكتب مستعملها ويلغى مهملها" (الفراهيدي، 1967، ج1، 66، 67) على حدِّ تعبير الخليل نفسه؛ فكان معجم العين الذي كانت الغلبة فيه للشعر في احتجاجه واستدلاله على معاني المفردات؛ وهي الظاهرة التي كان مبدعها ومؤسسها الأوَّل ابن عبَّاس، وشاعت وانتشرت على يد المشتغلين بعلوم اللغة والتفسير، وفي المقدِّمة منهم أصحاب المعاجم وعلى رأسهم الخليل في العين؛ فلا تكاد تخلو مادة لغويَّة فيه من الاحتجاج بشاهد شعري في الدرجة الأولى، ولا أبالغ أو أتعدَّى الحقيقة إذا قلت إنَّه لا تخلو صفحة من صفحات العين من شاهد شعري أو أكثر؛ فقد طغت الشواهد الشعرية على غيرها من الشواهد، فقد تجد في الصفحة الواحدة ثلاثة أو أربعة شواهد شعريَّة؛ ففي باب العين والراء (جذر ع ر) مثلاً يحتج الخليل بثمانية شواهد شعريَّة في الصفحات 97، 98، 99 من الجزء الأول حسب الاستعمالات اللغوية لهذه المادَّة، ويحسُن أنْ أسوقَ شاهدًا لكلِّ استعمال منها، وأبدأ بـ((العَرُّ والعُرُّ والعُرَّة: الجَرَب))، قال النابغة: (الفراهيدي، 1967، ج1، 97)

فَحَمَّلَتْنـــي ذَنْـــب امـــرئٍ وتركتنـــي كـذِي العُـرِّ يُكْـوَى غيـرُه وهـو راتِـع

العَرْعَر: شجر لا يزال أخضر، يسمى بالفارسية سروًا، والعُرار نبت قال الشاعر: (الفراهيدي، 1967، ج1، 98):

لهـــا مُقلتـــا أَدْمـــاءَ ظـــلَّ خميلهـــا مـن الـوحشِ مـا تَنْفَكُّ تَرْعـى عَرارَهـا [1]

والعُراعِر: الرجل الشريف، قال الكميت: (الفراهيدي، 1967، ج1، 99):

خلـعَ الملـوكَ وسـارَ تحـتَ لوائِـه شـــجرُ العُـــرا وعَراعِـــرُ الأَقـــوامِ

وإذا قفزنا زمنيًا إلى معجم لسان العرب الذي جمعه صاحبه ابن منظور (ت 711هـ) من خمسة مصادر وأصول كانت صدارة الاحتجاج والاستدلال فيها للشعر، وهي تهذيب اللغة الأزهري (ت 370هـ)، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت 393هـ)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت 458هـ) وحواشي ابن بري (ت 576هـ) على تاج اللغة وصحاح العربيَّة، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ت 606هـ)، وكانت الغلبة فيه للاستشهاد بالشعر من مختلف عصوره، والحديث الشريف، اقتباسًا مما جاء في النهاية في غريب الحديث؛ بوصفه أحد مصادر المعجم.

وتنوَّع الاحتجاج بالشعر عنده، وكان الحظَّ الأوفر للاستدلال به على معاني الألفاظ؛ وأَضرِبُ مثالاً لذلك مادة "أرب" (ابن منظور، 1994، ج1، 208–209) التي ورد لها في لسان العرب أكثر من معنى حسب استعمال العرب في حياتهم، تدل على ذلك أشعارهم التي ساقها صاحب اللسان لكل معنى كما في قوله: "قد أرِبَ الرجلُ إذا احتاج إلى الشيء وطلبه يأرَب أَرَبًا"، قال ابن مقبل:

وإنَّ فينـــا صـــبوحًا، إن أَرِبْـــتَ بـــه جمعًـــا بهيًـــا، وآلافًـــا تمانينـــا

... وأرِبَ الدَّهرُ: اشتدَّ، قال أبو دؤاد الإيادي يصفُ فرسًا:

أَرِبَ الـــــدهر فأعـــــددت لـــــه مُشـرفَ الحـارِكِ، محبـوكَ الكَتَـدِ [2]

... وأرِبَ بالشيء: صار فيه ماهرًا بصيرًا؛ فهو أرِب، قال أبو عبيد:

---

(1) والأدماء هي الظبية، وقد تكون الناقة، وهي البيضاء مع سواد المقلتين.

(2) **المحبوك: الشديد الخَلْق، والكَتَد: الكاهل، والحارك: أعلى الكاهل.**

ومنه الأريب أي ذو وَهَيْ وبَصَر قال قيس بن الخطيم:

أَرِبْــتُ بــدفع الحَــربِ لمَّــا رأيتُهــا علــى الــدفع لا تــزداد غيــرَ تقــارُبِ

... وأَرِبْتُ بالشيء أي كلِفْتُ به، وأنشد لابن الرِّفاع:

ومـــــا لامـــــرئٍ أرِبٍ بالحيـــــا ة عنهـــا مَحـــيصٌ ولا مَصْـــرِفُ

أي كَلِف)).

ولم يقف الأمر في المعاجم عند حدِّ الاستدلال بالشعر على معاني الوحدات المعجميَّة، وهذا هو جوهر العمل المعجمي وأساسه، بل تعدَّاه إلى أغراض أخرى: منها ما يحتجُّ بالشعر للاستدلال على صيغ صرفيَّة كصيغة الجمع بِطَاء جمع بَطِيء (ابن منظور، 1994، ج1، 34) في قول زهير:

فضل الجيادِ على خيلِ البِطاءِ، فلا يعطـــي بـــذلك ممنونًـــا ولا نَزِقـــا

وقد يحتجّ بالشعر على صيغة نحويَّة أقصد تركيبًا له دلالة خاصة نحو ما جاء في اللسان (ابن منظور، 1994، ج1، 189) "يا هَيْءَ ما لي؟ كلمة أَسَفٍ وتَلَهُّف، قال الجُمَيْحُ بن الطمَّاح الأسدي:

يـا هَـيْءَ مـا لـي؟ مَـنْ يُعَمَّـره يُفْنِـهِ مـــرُّ الزمـــان عليـــه، والتقليـــبُ

وقد يحتجُّ بالشعر أيضًا للاستدلال على عَلَم جغرافي، كما جاء في اللسان الاحتجاج على وجود ثلاثة جبال: أَجَأَ وسَلمى والعَوْجاء (ابن منظور، 1994، ج1، 23) كقول الشاعر:

إذا أجـــأ تلفّعَـــتْ بشـــعافها علـــيَّ وأَمْسَـــتِ بالعَمـــاءِ مُكلّلـــه
وأصـبحت العَوْجـاء يهتـزَّ جيـدها كجيـدِ عـروسٍ أَصـبحت متبدَّلـه

والحقيقة إنَّ الاستدلال بالشعر في اللسان قد تنوَّع؛ فهناك استدلال على أسماء النبات، والأزمان، والأعلام، وأسماء الأصوات، والظواهر اللهجيَّة وغير ذلك.

وإذا انتقلنا إلى المعاجم الحديثة، ومن أحدثها المعجم الوسيط، وتأليفه جماعي وليس فرديًا كالمعاجم القديمة، وهو معجم صادر عن مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، وجدنا أنَّه اشتمل على ثلاثين ألف كلمة أو وحدة معجميَّة، ومن أهمِّ عناصر التجديد فيه إطلاق الاحتجاج بشعر العرب ونثرهم

القديم والحديث دون التزام بقيود الزمان والمكان، ومن احتجاجه لدلالة المفردات ما جاء في مادَّة "أتا، أتوًا: وشى"، قال الشاعر: (مجمع اللغة العربيَّة، 1994، ج1، 6)

وإنَّ امـــرءًا يـــأتو بســـادة قومـــه حـــريٌّ لعمـــري أنْ يُـــذَمَّ ويُشْـــتَما

ومن استدلاله النحوي في "إذ" ورد فيه أنها قد تكون للتعليل وشاهده من شعر الفرزدق قوله:

فأصـــبحوا قـــد أعـــاد الله نعمـــتهم إذ هـم قـريش، وإذ مـا مـثلَهم بشـر

الاحتجاج بالشعر في الدرسين الصرفي والنحوي:

وإذا انتقلنا إلى الدرس النحوي الصرفي عند العرب، فسنجد أنَّه قد ارتقت القيمة اللغويَّة للشاهد الشعري، ولا أبالغ إذا قلت إنَّه قد أصبح له الصدارة في تقعيد نحو العربيَّة، وضبط أبنيتها الصرفيَّة ونظمها الصوتيَّة، بعد أن تمَّ استظهار معاني مفرداتها ودلالاتها في معاجمها وكتب التفسير فيها؛ وتقرر لدى علماء اللغة أنَّ الشعر هو الذخيرة اللغويَّة، مع اعتدادهم بمصادر الاحتجاج النقليَّة أو السماعيَّة الأخرى وعلى رأسها القرآن وقراءاته، والحديث الشريف من بعده، حتى علماء القراءات والمصنِّفون فيها وفي مقدِّمتهم أبو بكر أحمد بن مجاهد (ت 324هـ) في كتابه السبعة في القراءات استعان بالشواهد الشعريَّة على صحَّة الوجوه النحويَّة والعلل الإعرابيَّة والتصريفيَّة.

ونظرًا للقيمة الثقافيَّة والحضاريَّة للشعر عامة والقيمة العلميَّة اللغويَّة للشواهد الشعريَّة، بخاصَّة في تقعيد العربيَّة نحوًا وصرفًا؛ قامت حركة علميَّة حول الشواهد اللغويَّة النحويَّة والصرفيَّة، وأوَّلها شواهد كتاب سيبويه التي بلغت ألفًا وخمسين بيتًا حسب رواية أبي عمر الجَرمي؛ شرح منها ابن السيرافي (ت 385هـ) أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي سبعمائة وخمسة عشر شاهدًا (السيرافي، 1996، 37)، بعد أن قام السيرافي (الأب ت 368هـ) أبو سعيد بشرح كتاب سيبويه. ويذكر أن أبا عمر الجَرْمي قد نسب ألفًا من هذه الشواهد لأصحابها أو قائليها. فقد ورد في خزانة الأدب (البغدادي، 1989، ج1، 17)، قال الجَرْمي: نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتًا، فأما الألْف فقد عرفت أسماء قائليها فأثبتُّها، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها.

وأصبح التصنيف في جمع الشواهد الشعريَّة وشرح ما جاء منها في الكتب النحوية جزءًا من الحركة العلميَّة في التأليف النحوي؛ كالذي فعله السيوطي في شرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الأعاريب في كتاب خاص سمّاه شرح شواهد المغني (السيوطي، 1322هـ). وأبرز من اعتنى بالشواهد الشعرية عبد القادر ابن عمر البغدادي (ت 1093هـ) في موسوعته اللغوية والأدبية التي سمّاها "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"[1] الذي شرح فيها، أي الخزانة، شواهد الرضيّ على كافية الحاجب التي بلغت 957 شاهدًا من شواهد العربيَّة (البغدادي، 1989، ج1، 19). وفي تقديمه للخزانة تحدَّث عن الكلام العربي الذي يصحُّ الاستشهاد به في اللغة، والنحو، والصرف. وقام بالتنظير لنظريَّة الاحتجاج العربيَّة، وذكر من يستشهد بشعرهم من الشعراء حيث قسمهم إلى أربع طبقات (البغدادي، 1989، ج1، 5–8):

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليّون: وهم قبل الإسلام.

الطبقة الثانية: المخضرمون: وهم الذين أدركوا الجاهليَّة والإسلام.

الطبقة الثالثة: المتقدِّمون: ويقال لهم الإسلاميّون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام.

الطبقة الرابعة: المولَّدون، ويقال لهم المُحْدَثون كبشَّار بن برد، وأبي نواس.

وأجاز الاحتجاج والاستشهاد بشعر الطبقات الثلاث الأولى؛ وبذلك يكون البغدادي قد أضاف حدودًا زمانية للاحتجاج إلى الحدود المكانيَّة التي حصرها الفارابي (الفارابي، د.ت، 147؛ الأندلسي، 1986، 574؛ السيوطي، د.ت، ج1، 212) (ت 339هـ) "في سكان البراري... من كان في أوسط بلادهم (أي العرب) من أشدهم جفاء... وهم قيس، وتميم، وأسد، وطيء ثم هذيل، فإنَّ هؤلاء معظم من نُقِل عنهم لسان العرب.."؛ مما يعني حصر الاحتجاج في البيئات الوَبَريّة أو القبائل البدويّة التي تقيم في وسط الجزيرة العربيَّة؛ ممَّا يُفْتَرَض أنَّهم حافظوا على فصاحة لغتهم لعدم اختلاطهم بالأمم

(1) بتحقيق وشرح: عبد السلام هارون.

الأخرى، فلم تفسد سليقتهم اللغويَّة، بعكس سكان الحَضَر الذين عاشوا في مدن أطراف الجزيرة؛ فكان استثناؤهم حاضرًا فيما نقل الفارابي، وكان من الطبيعي ألاّ يرتضي مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة مثل هذا التضييق؛ لما بين أيدي علمائه ممَّا ورد في كتب اللغويين والنحاة من شواهد لشعراء من سكان الحَضَر أو المَدَر، وممَّن عاشوا في بيئات حضريَّة كحسَّان، وأبي دؤاد الأيادي، وعديّ بن زيد العبَّادي، وعمر بن أبي ربيعة، والأخطل، ودعبل الخزاعي وغيرهم؛ وعليه أصدر هذا المجمع قراره الذي بيّن فيه الحدود الزمانيَّة للاحتجاج في المدر والوَبَر ونصُّه: "إنَّ العرب الذين يوثق بعربيَّتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع" (حسن، 1966، 24).

وظلَّت العناية قائمة بالشواهد الشعريَّة إلى أيَّامنا هذه، وجُمِعتْ في معاجم خاصة بها نحو: معجم شواهد العربيَّة للأستاذ عبد السلام هارون الذي صدر في جزئين عام 1972م، وجمع فيه شواهد النحو والبلاغة واللغة، وتبعه الدكتور حنا حدّاد الذي صنَّف معجم شواهد النحو الشعرية إذ جمع فيه شواهد النحو والصرف الشعريَّة. وبلغت ذروة التصنيف في هذا الباب على يد الدكتور إميل بديع يعقوب في مصنفه "المعجم المفصَّل في شواهد اللغة العربيَّة" في أربعة عشر مجلدًا من ضمنها الفهارس.

خاتمة البحث ونتائجه:

وهكذا وجد ما بذره ابن عبَّاس (رضي الله عنه) باستشهاده بالشعر العربي للاستدلال على المعنى القرآني، أرضًا خصبة واستجابة واثقة من علماء العربيَّة ومطمئنة لصلاحيتها للتطبيق والتطوير، وأخذ مفسِّرو القرآن الكريم والمعجميّون ينظرون إلى ما يحمله البيت الشعري من مقاصد دلاليَّة اهتدى إليها ابن عبَّاس وأدركها بحسِّه اللغوي مبكرًا، حين أجملها في مقولته: "الشعر ديوان العرب"؛ فالشعر عنده بمضامينه سجلٌّ لحياة العرب الاجتماعيَّة، والثقافيَّة، وآمالهم، وآلامهم، وهو الوجه الناصع للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا ما فهمه المفسِّرون

من مقولة ابن عبَّاس ومن تذييله لها بقوله: "فإذا خفي الحرف (يعني الكلمة هنا أو اللفظ) من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه"، بالتزام هؤلاء المفسرين في كتبهم بمنهج ابن عباس في الإجابة عن سؤالات نافع بن الأزرق كأبي عبيدة في مجازه، والفراء، والأخفش في معاني القرآن، والطبري في جامع البيان، والقرطبي في جامع أحكام القرآن إلى يومنا هذا.

أمَّا علماء اللغة من نحويين وصرفيين وبلاغيين؛ فقد اتَّسعت نظرتهم إلى بيت الشعر العربي وتعمَّقت؛ إذ أصبح يُنْظَر إليه عندهم، على أنَّه مجموعة من التكوينات الصوتيَّة والصرفيَّة والنحويَّة والبيانيَّة الجماليَّة؛ جعلت منه قاعدة للعربيَّة الفصيحة، وجرى الاعتماد عليه بتوسع من اللغويين في استظهار أحكام هذه النظم أو التكوينات؛ بحيث أصبح للشاهد الشعري الأولويَّة في استنباط قواعد اللغة وتقنين نظمها. وهو منهج علمي يصعب فيه تزييف الواقع اللغوي، كان الفضل الأول في انتهاجه، كما رأينا، لابن عبَّاس رضي الله عنه؛ وهو نهج يثبت أنَّ أصول العربيَّة وقواعدها وظواهرها وليدة بيئتها العربية، والعقل العربي هو المبدع لها؛ مما يشكِّل دليلاً قاطعًا على أصالة نشأة علوم العربية وبنائها وتطوّرها، ويدحض أصحاب نظرية التأثيرات الأجنبية في نشأة النحو العربي.

المراجع

ابن الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم (2010). **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، تحقيق: أحمد مهدلي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عطيَّة الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب،(2001)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1.

ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (د.ت). **مجاز القرآن**، عارضه بأصوله وعلّق عليه: فؤاد سزكين، مصر: مكتبة الخانجي.

ابن منظور (1994). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت: دار الفكر.

الزمخشري (1995). **تفسير الكشَّاف للزمخشري**، ترتيب وضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

إقبال، أحمد الشرقاوي (1987). **معجم المعاجم**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الأندلسي، أبو حيَّان (1986). **تذكرة النحاة**، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الأندلسي، أبو حيَّان (د.ت). **البحر المحيط**، دار الفكر.

الأوسط، الأخفش (1981). **معاني القرآن**، تحقيق: فائز فارس، ط3، دار البشير، دار الأمل.

البغدادي، عبد القادر عمر (1989). **خزانة الأدب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

حسن، عبَّاس (1966). **اللغة والنحو**، مصر: دار المعارف.

السجستاني، أبو بكر (1993). **غريب القرآن على حروف المعجم**، تحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية، دمشق: دار طلاس.

السيرافي، أبو محمد يوسف (1996). **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: محمد الريّح هاشم، بيروت: دار الجيل.

السيوطي، جلال الدين (1322ه). **شرح شواهد المغني**، تصحيح: محمد محمود الشنقيطي، دار مكتبة الحياة.

السيوطي، جلال الدين (1995). **الإتقان علوم القرآن**، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين (د.ت) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: جاد المولى والبجاوي وأبي الفضل، بيروت: دار الجيل.

الطبري، ابن جرير (2005). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار.

الفارابي (د.ت). **الألفاظ والحروف**، تحقيق: محسن مهدي، بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية.

الفراء (د.ت). **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، بيروت: دار السرور.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1967). **العين**، تحقيق: عبد الله درويش، بغداد: مطبعة العاني.

القرطبي، محمد بن أحمد (1967). **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، تحقيق: عماد زكي البارودي، وخيري سعيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ج1.

مجمع اللغة العربية (1994). **المعجم الوسيط**، ط6، القاهرة، قام بإخراجه إبراهيم أنيس ورفاقه.

السامرائي، إبراهيم (1969). "سؤالات نافع بن الأزرق"، **مجلّة رسالة الإسلام**، العددان 5 و6، السنة الثانية، بغداد: مطبعة المعارف.

عبد الرحيم، محمد، ونصر الله، أحمد (د.ت). **رسالة غريب القرآن في شعر العرب**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافيَّة.